

من صحابة الرسول

المجموعة الثانية



عبدُ الله
بن عمر

نانيس محمد عزت

عبد الله بن عمر

ضاع من أسامة قلمه الحبر الجديد ، وفي نفس
اليوم رأى مع صديقه أيمن قلمًا مثله ، فاتهمه بسرقة
قلمه ، وطلب منه أن يرده إليه . فعضب أيمن لآتهام
صديقه أسامة له بالسرقه ، ودافع عن نفسه فقال :
إن والده اشتراه له هدية بمناسبة عيد ميلاده .

وتشاجر الولدان ، وكلُّ منهما يدعى ملكية
القلم ، وأخيرا اتفقا على أن يكون صديقهما إيهاب
حكمما بقضى بينهما بالحق . واستمع إيهاب إلى حجة
كلٍّ من الولدين أسامة وأيمن ، ثم وعد بأن يصدر
حكمه في الغد .

وفي البيت جلس إيهاب يفكر في الأمر طويلا .
فسأله والده : ما الذي يشغل بالك يا إيهاب ؟ .

قال إيهاب : أنا فحار يا أباي . فكسل من صديقي
أسامة وأبي ، فصر على موقفه ، ويدعي أن قلم الحر
له ، فلمن القلم يا ترى ؟

قال والده : لقد قبلت يا ولدي مهمة صعبة . فهل
انت كفؤ لها ؟ لقد رفض مثل هذا التكليف من هو
أكفأ وأعقل منك ، فكيف تقله وانت أقل منه
بكثير ؟

ألا تعلم أن عبد الله بن عمر ، رفض أن يقضى بين
الناس وقال : إن القضاة ثلاثة : قاض يقضى بحل
فهو في النار ، وقاض يقضى بهوى ، فهو في النار
أيضا ، وقاض يجهل ويصيب فهو كفاف لا وزر ولا
أجر .

فهمت إيهاب وقال : ويل لي ! مالي ولهذا القلم
اللعين ؟ سأعذر لصديقي غدا عن هذا التكليف

المهلك . ولكن هل لك يا أبى أن تحكى لى قصة عبد
الله بن عمر بن الخطاب ؟ إن نسه وحده إلى أبيه ،
يُشرُّ بقصة رائعة .

قال والده : هذا حقُّ يا إيهاب . فمن كان فحشد
- صلى الله عليه وسلم - أستاذه ، وعمر بن الخطاب
- رضى الله عنه - أباه ، لهو شخص عظيم ، يجب
عليك أن تعرف سيرته . فقد أسلم عبد الله بن عمر
بمكة . وهاجر إلى المدينة مع أبيه وهو فى الثالثة عشرة
من عمره ، فكان ابنا من أبناء الإسلام ، الذين شيوا
وترغروا على أخلاق الإسلام وقيمة الحميدة . وقد
أراد سيدنا عمر أن يشارك ابنه عبد الله فى غزوتي
بدر وأخذ ، ولكن رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - رده خوفا عليه لصغر سنه يومئذ . ولكنه
أجازة يوم الحندق ، وكان حينذاك ابن خمس عشرة

سنة . ولم يدع بعد ذلك أية غزوة ، إلا وشارك فيها بنفسه .

قال إيهاب فتعجباً : شارك في الحرب وهو ابن خمس عشرة سنة فقط ! إن هذا عجب ! .

قال والده : لقد قلت لك إنه ابن الإسلام ، وقد كان يُحبُّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - كل الحب ، ويُحبُّ أن يتأسى به ، ويشعل مثل ما يراه يفعل . فإتبعنا صلى الرسول على عبد الله ، وإتبعنا دعا الرسول دعا عبد الله ، وفي هذا الطريق متى الرسول ، مشى فيه عبد الله ، وفي هذه البقعة نزل الرسول عن ناقته وصلى ، نزل عبد الله وصلى . حتى إن السيدة عائشة - رضى الله عنها - قالت عنه : ما كان أحدُ يبيع آثار النبي - صلى الله عليه وسلم - قبي منازلَه ، كما كان يبتغى ابنُ عمر .

وعلى الرغم من أن عبد الله بن عمر ، كان
 حرباً على اتباع سنة رسول الله - صلى الله عليه
 وسلم - والقيل بها ، ومحاكاته في كل ما يفعل :
 إلا أنه لم يحدث عنه قط ، إلا إذا كان وانفا من كل
 كلمة يقولها . أو كل حرف ينطق به ، وكان يحذر
 كل الحذر ، أن يُبدل حرفاً مكان حرف ، أو أن يصح
 كلمة مكان كلمة . ولذلك كان شديد الحذر في
 الفُتيا أيضا .

فإذا جاءه أحد يستفتيه في أمر ما ، وهو غير والي
 من إجابته عن هذا الأمر ، ردّ عليه بقوله دون
 إخراج أو تحجل : لا أعلم لي بما تسأل عنه .
 ضحك إيهاب وقال : لم تعد هناك من يقول مثل
 هذا القول ، فكل إنسان يدعى العَلَم ، ويُدنى برأيه
 فيما يعلم وفيما لا يعلم .

قال والدّه : وكذلك هناك من يتحمّل مسئوليّة
القاضى ، وهو غير كفء لها .

فاوماً إيهابُ برأسه عجبلاً ، فقال والدّه : أعنقذ
أنك علمت الآن خطأك . فقد عرض سيّدنا عثمان
رضى الله عنه - منصب القاضى على عبد الله بن
عمر أكثر من مرّة ، فاعتذر عن قبوله لأنّ يخطيء أو
يحكم بهوى نفسه ، فيكون نهايته النار والعباد
بالله . وأقنع سيّدنا عثمان برأى عبد الله بن عمر ،
ولكنّه طلب منه أن يحتفظ برأيه هذا ، والأى يذلى به
لأحد . فلا يجد من يقبل أن يشعل هذا المنصب .

وكما رفض غبذ الله بن عمر منصب القضاء ،
رفض كذلك منصب الخلافة أكثر من مرّة .

فعندما قُتل عثمان بن عفان ، قال الناس لعبد الله :
أت يا عبد الله سيّد الناس وابن سيّد الناس ، فأخرج
نبايع لك الناس .

فردّ عليهم بقوله : إني والله لن استطعت ، لا
يُهراق بسبي محرم من دم .

قالوا له : لتخرجن أو لنقتلك على فراشك .

فأعاد عليهم ما قاله أولاً ، فاطمعة ثم خوفوه فلم
يغير ذلك من رأيه .

قال إيهاب : أهذه الدرجة كان يحشى الخلافة ،
ويخشى المسؤولية ؟ .

قال والده : إنه لم يخشَ المسؤولية ، ولكنه خاف أن
يكون سببا في قيام فتنة ونزاع بين المسلمين ،
فاشترط لقبوله الخلافة ، أن يختاره كل المسلمين
طائعتين مختارين .

قال إيهاب : حَقًّا إِنَّهُ تَقَىٰ وَرَغَّ زَاهِدٌ ، رَفَضَ
الكثير من المناصب الرَّاقَةِ . رَفَضَ القِضَاءَ وَرَفَضَ
الْخِلَافَةَ ، عَلَى مَا فِيهِمَا مِنْ نَفُوذٍ وَجَاهٍ وَثَرَاءٍ .

اتَّسَمَ وَالذَّه : قَالَ : ثَرَاءٌ !! كَانَ الْمَالُ آخِرَ مَا يَنْهَمُ
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، فَقَدْ كَانَ الْمَالُ هَمًّا وَكَرْبًا لَهُ .

قال إيهاب : الْمَالُ هَمٌّ وَكَرْبٌ ! كَيْفَ ذَلِكَ ؟

قال وَالذَّه : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ مِنْ ذَوِي
الدُّخُولِ الْكَبِيرَةِ . فَقَدْ كَانَ تَاجِرًا أَمِينًا ، وَكَانَ لَهُ
رَاتِبٌ كَبِيرٌ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْخِرْ
لِنَفْسِهِ آيَةَ أَمْوَالٍ ، فَكَانَتْ أَمْوَالُهُ كُلُّهَا حَقًّا لِلْسَّائِلِينَ
وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَتْمَامِ .

يُحْكِي أَنْ جَاءَهُ ذَاتَ يَوْمٍ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ
وَقَطِيفَةٌ . فَلَمْ يَبْتَ لَيْلَتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى فَرَّقَ الْمَالَ
كُلَّهُ ، حَتَّى الْقَطِيفَةَ تَصَدَّقَ بِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ ، وَلَمْ يُبْقِ

فى بيته ولا درهمٌ واحد . وفى صباح اليوم التالى
كان عبد الله بن عمر بالسوق ، يسعوى بالذئبى علفا
لذئبته .

تعجب إيهابُ عجا كثيرا ، فأكمل والده : ليس
هذا فقط يا بُنى ، فقد كان الزُّهد من أبرز صفات
عبد الله بن عمر . فكان يتصدق فى المجلس
الواحد . بثلاثين ألف درهم أو يزيد عليها . وكان لا
يأكل إلا ومعه على مائدته فقراء أو أيتام . وكان
الفقراء يتعمدون أن يجلسوا فى طريقه ، حتى يراهم
فيُدعوهم إلى طعامه .

وتحكى زوجته أنه إذا لم يجد من يشاركه الطعام
من الفقراء أو المساكين أو الأيتام ، أبى أن يأكل ،
ونام بدون عشاء .

قال إيهاب : حقا إنه ابن سيدنا عمر بن الخطاب .

قال والده : وكان دائما ما يعيبُ على أُناسه
دعوتهم الأغنياء دون الفقراء ، فيقول لهم :

- تدعون النِّبَاع وتدعون الجِيع ؟

وجاء ذات يوم صديق له بدواء ، هدية من
العراق . وعند ما علم أن هذا الدواء مُهضمٌ للطعام ،
ضحك وقال :

- يهضم الطعام ؟ إني لم أشع من طعام قط ، منذُ
أربعين عاما . ولم يكن الرُّمَحُ فقط من ابرز سماته أو
صفاته ، فقد كان عابدا يكثر من الصلاة وتلاوة
القرآن ، ويذكرُ ربه كثيرا ، وكان لا يدغ قيام
الليل ، أو استغفار السحر كيفما كانت الظروف ،
ولذلك قصة .

تساءل إيهاب : أيّة قصة يا أبي ؟ احكها لي .

قال والدّه : عندما كان عبد الله شاباً لم يتزوّج
بعد ، كان ينام في المسجد ، وقد رأى في منامه
رؤيا يحكيها لنا ليقول :

- رأيتُ على عهد رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - كأنّ بيدي قطعة من إستبرق ، وكأنّي لا
أريد مكاناً من الجنة ، إلّا وطارت بي إليه ، ورأيتُ
كأنّ اثنين أتاني وأرادا أن يذهبا بي إلى النار ،
فتلقاهما ملكٌ فقال :

- لا تُزع .

فخلّيا عني .

وحين قصّت أخته الشّيدة حفصة ، الرؤيا على
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

- نعم العبد عبد الله ، لو كان يُصلّي من الليل

فيكثر .

ومنذ ذلك اليوم كان عبد الله بن عمر ، لا يدع قيام الليل ، ولا يتكاسل عنه ، سواء أكان في حل أو نرحال .

قال إيهاب : هنيئاً لمن كان في مثل أخلاق عبد الله ابن عمر ، فهو مثالٌ يُحتذى به في التقى والورع والكرم والجود والتواضع والاستقامة والمجاهرة على العبادة .

قال والده : وهذه الأخلاق الحميدة التي ذكرتها يا إيهاب ، كانت هي التي أبعثته عن الفسق والزناعات ، بين أنصار علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان . فاعتزل الخلافات ، واتخذ موقفاً محايداً ، وجعل شعاره :

من قال : حي على الصلاة أجبه .

ومن قال : حي على الفلاح أجبه .

ومن قال : حى على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله ، قلت لا .

وفى العام الثالث والستين من الهجرة ، توفى عبد الله بن عمر ، وهو ابن أربع وثمانين سنة ، وقد وصفه معاصروه فقالوا :

— مات ابن عمر ، وهو فى مثل عمر فى الفضل .
قال إيهاب : شكرا لك يا أبى على هذه القصة المفيدة ، المليئة بالعبر والعظات .

* * *

وفى اليوم التالى عاد إيهاب من المدرسة فرحان ، وقال : الحمد لله يا أبى ، فقد تحامى الله من تلك المهمة الشاقة التى كلفت بها ، فلقد وجد أسامة قلمه ، و كان قد نسيه فى البيت .
سأل والده : وهل اغتذرو لأئمن ؟

قال إيهاب : نعم ، اغتدرَ له على مرأى وسمع
من جميع أصدقائنا .

قال والده : حسنا فعل . وأرجو يا إيهاب أن تتعلم
من موقف أسامة الخطي ، فلا تُسارع باتهام أحد ،
وأنت غير متأكد تماما من اتهامه . فقد قال تعالى :
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ
تُصِيرُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ .